إن الخطب المنبرية التي تلقى في الجمع والأعياد ليس لها أي تأثير على السواد الأعظم من المسلمين في غرب أفريقيا عمومًا وفي نيجيريا خصوصًا، لأنها كانت ولا تزال تلقى باللغة العربية فلا يستفيد منها إلا العلماء وهم قليلون.

وقد اضطر بعض الأئمة بإلحاح جماعته إلى ادخال بعض تعديلات خفيفة في ترجمة الخطبة، وذلك بأن يتقدم واعظ معين من قبل الإمام لترجمة الخطبة للناس ومن قبل إلقائها أو بتذكير الناس بشيء من القرآن والحديث قبل إلقاء الخطبة في نحو ربع ساعة أو بإلقائها باللغة المحلية إلا في الآيات والأحاديث فتكون بالعربية ثم تترجم إلى اللغة المحلية: أما الوعظ والإرشاد بوجه عام فقد اعتقد علماء يوربا وجوبها عليهم فكانوا حريصين على أداء هذا الواجب في أوقات رتيبة وفي كل فرصة سانحة.

فلكل إمام بين جماعته ولكل عالم بين تلاميذه نشاط ملموس من هذا الوعظ والإرشاد خصوصًا في أيام رمضان ولياليه، حيث يترجم بعضهم القرآن ويفسر بعضهم الحديث في الأيام والليالي.

ويمكن أن يقسم الوعاظ إلى ما يأتي من الأقسام:

- **القسم الأول**: الذين يعقدون مجالس وعظهم في مساجدهم ويلقونه على جماعتهم كل يوم جمعة من بعد صلاة الصبح حتى الإسفار أو ليلة كل جمعة من بعد صلاة العشاء.

- **القسم الثاني**: الذين يخصصون لوعظهم يومًا معينًا أو ليلة معينة في الساحات العامة يحضرها الرجال والنساء ويقضون فيها الساعات.

- القسم الثالث: الذين يتطوعون بوعظهم ويتنقلون له من بلد إلى بلد ويعقدون له مجالس هامة يجاهدون به الكفار والمنافقين ويذكرون المؤمنين.

ولقد كان لهؤلاء فضل كبير في دخول الناس إلى دين الله أفواجًا وأفذاذًا وأشهر من عرف منهم في بلاد يوربا الشيخ سعد النفاوي الألورى الذي بدأ في وعظه هذا منذ ١٣١٠، وصار يتغلغل في المدن والقرى بهذا الوعظ حتى أدخل نحو مائة ألف كافر في الإسلام في بلاد يوربا والداهومي، واشتهر بما كان يكرره من الكلام الذي معناه «كيف يفلح من لم يتعلم ولم يسأل العلماء» توفي إلى رحمة مولاه ١٩٣٥م.

هذا وقد اخترع الوعاظ أسلوب الوعظ بالأشعار الأعجمية، في نغمات يتذوقها أبناء البلاد ويتأثرون بها ولا ينسونها أبدًا ويسمونها «واكا» في لغتي هوسا ويوربا. فقد اعتادها بعضهم حتى صارت له ملكة يقتدر بها على تفسير كل آية من القرآن، بهذا الأسلوب الشعري المعروف عندهم بواكا.

الحفلات الإسلامية في بلاد يوربا:

من أسباب انتشار الإسلام في بلاد يوربا ما ابتدعه العلماء من نظام الحفلات لبعض شعائر الإسلام تعظيمًا لها وتنشيطًا للمسلمين عليها وترغيبًا للكافرين في الإسلام، ويقوم بعض تلك الحفلات في المساجد كحفلة تولية الإمامة واعتناق كافر للإسلام، وبعضها في المدارس كحفلة ختم القرآن أو ختم كتاب كبير أو التخرج النهائي، وبعضها في المنازل كحفلة عقدة النكاح واستقبال العائد من الحج..

لقد صارت هذه الحفلات في بلاد يوربا أداة من أدوات الدعوة إلى الله ومجلسًا من مجالس الوعظ والإرشاد.

فلا غرو في أن كل اجتماع للمسلمين فرصة تتيح للواعظ أن يخاطب الجمهور بما يناسب الموقف والواقع من حكم الله ورسوله.

ففي حفلة النكاح مثلاً يتولى الإمام تلقين صيغة التزويج للولي وصيغة الرضى والقبول للزوج ووكيله، كما يتولى إعلان قدر الصداق وإشهاد الحاضرين على ذلك كله، ثم الدعاء للزوجين بالرفاه والبنين، ثم يختم بتذكير الزوجين حقوقهما على وجه يستفيد منه الحاضرون جميعًا.

وفي حفلة التسمية يوم سابع المولود يحضر الإمام وجماعته إلى بيت الداعي ضحوة، فيفتح الإمام بالثناء على الله والصلاة والسلام على رسول الله، ثم يعلن إسم المولود على الناس حسب اختيار والده اسمًا من أسماء الله تعالى أو من اسماء أنبيائه وصحابتهم، يدعو بالخير والبركة والسلامة لهذا المولود ووالديه والحاضرين أجمعين، ثم يذكر الناس بحقوق الولد على الوالد في الحضانة والتربية والتعليم والتزويج وأشباه ذلك.

وفي حفلة الجنازة يتقدم الإمام بالصلاة على الميت وإذا فرغ قام أهله بحمله ودفنه، وإذا فرغوا من ذلك اجتمع الناس عند ولي الميت وقام الواعظ بالتعزية وتذكير الناس بما حل بواحد منهم مستندًا إلى ما جاء في القرآن والحديث من ذلك ويختم بالدعاء للأحياء والأموات.

وفي استقبال العائد من الحج يخرج الأقارب والأصدقاء إلى موقف السيارة أو محطة القطار أو المطار ليستقبلوا الحاج الجديد، ثم ليرافقوه إلى بيته في موكب عظيم كأنه ملك يتوج وهم يهتفون بالأناشيد المطربة، يمدحون بها النبي ﷺ وأصحابه، ويعدون فضائل من حج البيت وزار قبر النبي ﷺ.

وفي اعتناق الإسلام يجتمع العلماء والأئمة في بيت المسلم الجديد وحوله أهله وذووه ليعلن إسلامه بينهم وليتولى الإمام تلقينه كلمة الشهادة بمشهد المسلمين. وربما قام الداعي في كل ذلك بتوزيع الهدايا والصدقات من الأموال والحلاوى والثمار، أو يتقدم إليهم بطعام الافطار ان كان صباحًا أو بالغداء إن كان ظهرًا أو العشاء إن كان ليلاً. وينطبق ما ذكرنا كله على مسلمي بلاد يوربا والداهومي وغانا وجزء من بلاد هوسا ومالي وسنغي.

أثر الإسلام في أمم السودان:

ذلك هو ماضي الإسلام منذ أن انبثق فجره في غرب افريقيا، حتى القرن التاسع عشر الميلادي، وتلك هي أخبار من تقدموا من الأبطال الذين خدموا الإسلام ببطولتهم، ورفعوا لواءه خفاقًا فوق أرضهم فخلد الإسلام ذكرياتهم، وسجل تاريخهم في صفحات المجلدات.

وتلك هي نبذة من أسماء الرجال الذين غرسوا الثقافة العربية في بلاد السودان، وبذروا محبة العرب في قلوب العجم حتى صاروا يحبون العرب، ويفضلونهم على أنفسهم، لأن النبي محمدًا ﷺ من العرب، وصاروا يحبون لغة العرب، لأنها لغة القرآن ولغة النبي العربي. فتعلموا قواعد اللغة العربية كأبناء العرب، حتى ظهر منهم من إذا كتب أو خطب حسبته عربيًا قحًا، وذلك كله من آثار الإسلام في أمم السودان.

وهناك شبه متقارب بين أثر الإسلام في الأمة العربية، وأثره في الأمة السودانية، حيث إن الإسلام وجد السودان أمة غير كتابية، فأدرجهم في عداد الأمم الكتابية، كما وجد أغلب العرب أمة أمية، فنشر بينهم الكتابة، ووجد السودان عبيدًا للبيضان في كل مكان وحررهم من العبودية،

ووجدهم على العادات الهمجية، فرفعهم إلى صفوف الأمم المتمدنة، فظهرت فيهم الحضارات الراقية، والثقافات العالية، تحت ظل الإسلام قرونًا طويلة قبل دخول الحضارة الغربية فيهم، بل قبل قيامها في أوربا. ولقد كان الجنس الأسود موسومًا بالخسف والهوان في تاريخ شعوب العالم قبل الإسلام.

لم يعترف الجنس الأبيض بدولة سودانية قبل ظهور دولة غانة، ومالي وسنغاي الإسلامية. وبالعكس من ذلك كله، قد كان الجنس الأسود يعتبر أداء للتسلية، ومثارًا للضحك أمام الفراعنة والأباطرة والقوارين، بل كانوا مسخرين للأعمال الشاقة في كل مكان، حتى صار اللون الأسود شعارًا للعبودية.

ثم جاءت اليهودية فكان مما ورث منها السودان ما يرويه النسابون القصاصون أن السودان هم ولد حام بن نوح اختصوا بلون السواد، لدعوة كانت عليه من أبيه ظهر أثرها في لونه، وفيما جعل الله من الرق في عقبه - وقد رد ابن خلدون على هذا القول- في مقدمته فانظرها.

ثم جاءت النصرانية ولم تغير شيئًا من منزلة الجنس الأسود في المجتمع البشري ولما جاء الإسلام كان من أهم أعماله تحرير السود من عبودية البيض وقال: (لا فضل لأبيض على أسود إلا بتقوى أو عمل صالح).

وقد طبق النبي هذه المساواة في تزويج ابنة عمته زينب البيضاء القرشية الهاشمية لزيد بن حارثة العبد الأسود المتحرر بفضل النبي، وجعل مؤذنه الذي ينادي الأمة دائمًا إلى الصلاة رجلاً أسود، وهو بلال الحبشي،

ولو جاز لكل إنسان أن يختار ما يناسبه من الأديان لكان الإسلام أنسب دين يختاره الجنس الأسود لنفسه، كما يختاره اليوم زنوج أمريكا، الذين لا يزالون يقاسون أشد أنواع الاضطهاد من أجل لونهم في القرن العشرين، وفي أرقى شعوب العالم الأبيض في أمريكا.

دخول الافرنج في غرب افريقيا:

عرف الانكليز هذه البلاد ١٥٥٣م على أثر مغامراتهم السياحية في شواطيء افريقيا، وبدأوا في التجارة مع أهلها، وكانت النخاسة أهم سلعهم التجارية، ولما ألغيت في أوربا ١٨٠٧م تحولت إلى غلات البلاد وحاصلاتها، لقاء ما يأتون به من منتوجات ومصنوعات وأدوات زراعية وغيرها، ولما تفتحت أعينهم على خيرات البلاد صاروا يتكالبون عليها حتى اضطروا إلى عقد مؤتمر في برلين ١٨٨٤م يضع حداً للتنافس الدولي على شواطيء افريقيا، فأسرع كل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا إلى وضع يدها على الأرض التي احتلتها، وإلى عقد اتفاقيات مع ملوك تلك البلاد على ما يأتي: -

أولاً: إبرام الصداقة التجارية بين الطرفين.

ثانيًا: منع تجارة الرقيق وتحريمها بتاتًا.

ثالثًا: إطلاق حرية التبشير المسيحي في طول البلاد وعرضها.

رابعًا: إيقاف الحروب بين القبائل وتأمين طرق المواصلات.

لم يكتف الأفرنج بهذه الاتفاقيات، بل صاروا يطمحون إلى ما وراءها في شئون الحكم وإدارة البلاد واستعمارها واستغلالها بالتدريج. ولما شعر

الملوك والأمراء بانفلات الزمام من أيديهم هزوا رؤوسهم امتناعًا، فقامت بين الطرفين مناوشات طويلة انتهت بسقوط الضعيف تحت أقدام القوي، فسقطت لاغوس أول ما سقطت تحت أقدام الانكليز ١٨٦٢م.

ثم تغلغلوا في داخل البلاد وفعلوا بأهلها مثل ما فعلوا بأهل لاغوس، فتم لهم الاستيلاء عليها ورفع رايتهم فوقها، وأطلقوا على بعضها المحمية الشمالية، وعلى البعض الآخر المحمية الجنوبية. ولقد أبت الإمارات الشمالية، وعلى رأسها حفيد ابن فودي المسمي السلطان الطاهر، أن تستسلم للانكليز بل قاومتهم مدة قبل أن تنهزم ١٩٠٣م فخرج السلطان مهاجرًا وتبعه خلق كثير، فاقتفى الحاكم الانكليزى أثره، وأدركه في بلاد غمبي، وقامت بينهما معركة شديدة ينتطح فيها عنزان، بل استشهد السلطان والوجهاء والأعيان، ولم يفلت منهم إلا محمد بللو الملقب (ما يرنو) ومحمد بن الأمير، وطائفة من العلماء فتأخر الأول قرب مدينة سنار في السودان الشرقي واختط بها مدينة عرفت بلقبه (ما يرنو) ولازمها حتى توفي ١٩٤٠م وجاور الباقون مكة المكرمة إلى أن توفوا هناك رحم الله الجميع.

أما من ناحية فرنسا:

فلقد بدأت فرنسا في استعمار غرب افريقيا بالتجارة، كما بدأ الإنكليز، ثم بعقد المعاهدات الودية مع الملوك والزعماء، ولما انكشف سرهم للزعماء المسلمين في الاستعمار قاوموهم مقاومة شديدة أذهلتهم طويلاً، ولم يتمكنوا من التغلب عليها إلا بشراء الضمائر وسياسة التفريق بين الزعماء المختلفين.

اتخذت فرنسا مدينة دكار قاعدة عامة لحكومتها في غرب افريقيا، ومنها بدأ الاستعمار، ثم نشطت إلى احتلال السنغال كله ١٨١٧م. وحاربت الفلانيين والمورتانيين سنين طويلة. ولما تعين الجنرال فدهرب حاكمًا على السنغال، وكان داهية كبيراً عمل على توسع حكومته فيما حولها، وصادف وقت قيام الحاج عمر الفوتي بالجهاد الإسلامي، وتأسيسه لدولة إسلامية في انيور وما سينا وتمبكتو، فقام بين الحاج عمر وفدهرب قتال عنيف، ونضال طويل، انتصر في مواقعها الحاج عمر مراراً غير أنه وافاه الأجل ١٨٦٢م.

فقام بالأمر بعده ابنه أحمد الذي أقلق الجنود الفرنسيين واقض مضاجعهم طويلاً حتى اضطروا إلى التهادن معه، كما تهادنوا مع زعماء المقاطعات الذين قبلوا حماية فرنسا واحداً بعد واحد فتم استيلاؤهم على السنغال نهائيًا ١٨٩٣م. فهاجر أحمد بن عمر إلى شمال نيجيريا فمات بها.

ومهما تنس فرنسا لا تنسى ما لقيته من ساموري وكراموغو ومحمد الأمين في غرب أفريقيا.

الحروب الصليبية الباردة:

ولما تم استيلاء الافرنج على غرب أفريقيا، تدافقت أمواج الإرساليات التبشرية بالتتابع من انجلترا وفرنسا في شكل جمعيات مختلفة لبناء المدارس، والكنائس والمستشفيات في المدن والارياف، ثم لما تحرر العبيد السود من أوربا وتأسست في سيراليون مدينة سميت فريتاون ١٧٧٢م بادر المبشرون إلى إنشاء كلية فورابي لتخريج الأساقفة من هؤلاء العبيد المتحررين ليرسلوهم إلى تلك المستعمرات الجديدة مبشرين.

ونزلت الدفعة الأولى من موجات التبشير المسيحي إلى نيجيريا ١٨٤١م. ومن بينهم صمويل أجاي كراوثر الذي تحرر مع المتحررين، وتخرج مع المبشرين، ثم أرسل إلى نيجيريا مع المرسلين.

وعمل بجد ونشاط لوضع الأحجار الأساسية للتبشير الصليبي بالتعاون مع الاستعمار، ووضع الحروف اللاتينية لكتابة لغة يوربا لترجمة الانجيل بدل الكتابة العربية التي كان المسلمون يكتبون بها لغة يوربا، وأول مدرسة تبشيرية في لاغوس هي المدرسة الكاثوليكية الرومانية ١٨٤٤م. ثم مدرسة الجمعيات الإرساليات الكنسية ١٨٥٩م. ثم مدرسة البنات للجمعية المذكورة ١٨٦٨م. وأول مدرسة حكومية غير تبشيرية بنيت ١٨٨٢م. على أن الاستعمار كان يعمل جنبًا إلى جنب مع التبشير، وكلاهما يمهد السبيل للآخر، ويضع كل إمكانياته تحت تصرف زميله، بل يخدم التبشير الاستعمار أحيانًا أكثر مما يخدم صليبه، كما يختار الاستعمار كبار موظفيه من كبار الأساقفة والمطارنة، فلا يستطيع المسلم أن يفرق بين الموظفين الحكوميين، وبين الأساقفة المبشرين.

تأخر المسلمين وتقدم غيرهم:

لقد علمت أن الحضارة العربية الإسلامية هي التي تمكنت في جميع الأجزاء الشمالية في غرب أفريقيا قبل دخول الافرنج، أما الأجزاء الجنوبية القريبة من شواطىء المحيط التي يقل بها العمران في القرون الوسطى، فهي الجهات التي لم يكن فيها الإسلام قويًا، كسواحل العاج والذهب والداهومي ونيجيريا الجنوبية، ولقد كان التعليم العربي منتشراً في جميع البلاد التي استوى فيها الإسلام مستوى الاستقرار والنضوج، وكانت الثقافة الإسلامية براقة في جميع البلاد التي تحكم بالشريعة الإسلامية.

بل كانت الحضارة العربية قائمة في جميع البلاد التي قامت فيها الحكومة الإسلامية.

ولما جاء المستعمرون والمبشرون غاظهم كل الغيظ أن يلتقوا بالإسلام في غرب افريقيا ليس دينًا متمكنًا في النفوس فحسب، ولكنه قوة حاكمة، ودولة قائمة، فلبسوا للمسلمين جلود النمر، وأصلتوا لهم سيوف المكر، لا يرقبون فيهم إلاً ولا ذمة، بل شمروا عن ساعدهم في سبيل القضاء على آثار الإسلام بكل جائز ومستحيل، حتى ضربوا الثقافة العربية بثقافتهم الإفرنجية، وهدموا بنيان علماء الإسلام بمعاول قساوسة الصليب، وبدلوا الشريعة بالقانون، وطاردوا الفقهاء من الدواوين، وأحلوا محلهم المحامين، وأغروا طلاب اللغة العربية بطلاب اللغة الانكليزية والفرنسية، حيث تغلغلوا في القرى والأرياف، واقتنصوا أبناء الفلاحين وأغروهم بالأموال والأعراض، وأرسلوا من آمن بالصليب منهم إلى أوروبا، ليكملوا بها علومهم وليرجعوا إلى بلادهم زعماء معتبرين لدى الخاص والعام، فاغتر طائفة من أبناء المسلمين بتلك المظاهر فتنصروا، فأصبحوا يركضون في كل حلبة من حلبات الجد، فبقي المتمسكون بدينهم خارج الحظيرة ضعفاء مساكين متروكين في زوايا الإهمال يعيشون على هامش الحياة، ويأكلون من فتات الموائد، فلا جرم أن يحارب الاستعمار التعليم العربي بالتعليم الافرنجي بغية تحويل المسلمين عن دينهم، أو تسميم مناهج التعليم الافرنجي نفسه عليهم، حتى يصير المسلمون أنفسهم حربًا على الإسلام وثقافته، لترسخ أقدام المستعمرين في بلاد الإسلام، ولتشييد النصرانية على أنقاض الإسلام، أو ليس قد قال لورد كرومر وزير خارجية

بريطانيا، في برلمانهم بمطلع القرن العشرين قولته المشهورة: (أن قدم الإمبراطورية الانكليزية لن ترسخ في البلاد الإسلامية ما دام هذا القرآن بيد المسلمين).

إن نزع لغة القرآن وتعاليم الإسلام من قلوب مسلمي غرب أفريقيا خطة مدبَّرة، وحيلة منظمة، من الانكليز وفرنسا على السواء. ماذا يعمل المسلمون واللغة الانكليزية أو الفرنسية أصبحت ضرورية؟ ولكنها سم زعاف لا يعالج بالترياق.

اللهم إلا أنه لا يفقد الذين تعلموا الانكليزية أو الفرنسية واحتفظوا بعقيدتهم الإسلامية، ولكنهم قليلون، وهم كالقابضين على جمرة نار.

بقي المسلمون في نيجيريا الانكليزية متحيرين في حالتهم هذه إلى أن جاء رجل من سيراليون اسمه الدكتور ويلمت بليدن، كان مستشرقًا كبيرًا، كما كان مديرًا لمصلحة المعارف في سيراليون وسبق أن درس مثل هذه المشكلة مع المسلمين في سيراليون، فأكسبته خبرته لمعرفة طريقة حل هذه المشكلة في نيجيريا حسب طريقة حلها في سيراليون.

فطلب إلى الحكومة البريطانية عام ١٨٩٥م إنشاء مدرسة حكومية خاصة يتعلم فيها أبناء المسلمين المعارف الانكليزية إلى جانب ديانتهم الإسلامية، فوافقت الحكومة على هذا الطلب، فأنشئت المدرسة في لاغوس عام ١٨٩٧م، فتعين لنظارتها الشيخ إدريس امشاهن، من أوائل المثقفين المخلصين للإسلام في لاغوس، فانفتح الباب الحر لأبناء المسلمين أن يتعلموا.

ولما تأسست المدرسة الإسلامية الحكومية وتحسنت بها أحوال المسلمين الثقافية، احتج المبشرون على ذلك بأن المدارس الحكومية من شأنها أن تتجرد عن الشارات الدينية، فألغيت كلمة الإسلامية من اسم المدرسة، وبقيت حكومية، واختير ناظرها ومدرسوها من غير المسلمين. فاستيقظ المسلمون على هذه المؤامرة، وعملوا على إنشاء الجمعيات التي تهتم بفتح المدارس الإسلامية، فتأسست جمعية أنصار الدين ١٩٢٣م، ثم الزمرة الإسلامية ١٩٢٦م، ثم جمعية نوار الدين ١٩٣٤م، ثم جمعية أنصار الإسلام ١٩٤٥م. فملأوا المدن والقرى بالمدارس الإسلامية، التي جعلت مهمتها تسليح أبناء المسلمين بالثقافة الانكليزية التي أصبحت ضرورية لأبناء البلاد، مع الإلمام بمبادىء الدين، والتاريخ الإسلامي، وقد أعدت هذه المدارس الطبقة المثقفة من أبناء المسلمين الذين يشاركون أقرانهم المسيحيين في مختلف الميادين اليوم.

الأحمدية القاديانية في نيجيريا:

اتصل الرعيل الأول من الطبقة النيجيرية المثقفة بالنشرات الإسلامية، التى تقوم بها الطائفة القاديانية في انكلترا، فانساقوا وراءها واستقدموا مبشرها المسمى عبد الرحيم نيار إلى نيجيريا ١٩٢١، وادعى أن غلام أحمد القادياني هو المهدي المنتظر، فعارضه العلماء على هذه الدعوى وفندوها، ولكن تنظيمات هذه الجماعة ونشراتها أخذت بمجامع قلوب المثقفين فانتسبوا إليها، ولما وقفوا على دعوى مؤسسها للنبوة تراجع عنها الأكثرون، وأسسوا بدلها الجمعيات الإسلامية السالفة الذكر.

ثم انقسمت الأحمدية على نفسها قسمين: قسم يقول بنبوته وهم القاديانيون (صادرانجمان)، وقسم يقول بمهدويته وهم لا هوريون، وإلى هؤلاء ينتسب أكثر النيجيريين الذين انتظموا في نظام الأحمدية، والجميع سواء عند المسلمين ما داموا يمتون إليه بصلة.

المدارس العربية الحديثة:

المدارس الحديثة عبارة عن الإصلاحات التي ظهرت في أساليب التعليم بأوروبا، منذ القرن الثامن عشر الميلادي، وامتدت إلى البلاد العربية في أواسط القرن التاسع عشر وعرفت في نيجيريا في أوائل القرن العشرين، وأول من جمع الأولاد للتعليم العربي بهذا الأسلوب هو الشيخ محمد مصطفى أفندي نزيل لاغوس ١٩٠٤م ومؤلف الكتاب المسمى «مفتاح اللغة العربية» للتعليم في أفريقيا الغربية، والشيخ عبد الكريم الطرابلسى المرادي المتوفى بمدينة كانو ١٩٢٦م، والشيخ محمد اللبيب الملقب بتاج الأدب الإلوري المتوفى ١٩٢٢م. غير أنهم كانوا يقيمون هذه المدارس في منازلهم ولم يخصصوا لها بناءً خاصًا، لذلك زالت آثارها بموتهم، غير تاج الأدب الذي خلف تلميذه الشيخ كمال الدين، الذي ظل يواصل جهوده حتى تعاون مع الأزهر على إنشاء معهد في مدينة الورن ١٩٦٤.

وأول مدرسة مبنية خاصة للتعليم العربي على النظام الحديث، هي مدرسة الشريعة الإسلامية، التي تعاون أمراء شمال نيجيريا على تأسيسها عام ١٩٣٤م في مدينة كانو، بقصد تخريج القضاة الشرعيين، وانتدب للتدريس فيها علماء من كلية غردون بالخرطوم، وأنجبت المدرسة النواة الأولى للطبقة المثقفة بالثقافتين العربية والانكليزية في شمال نيجيريا. ثم

أتاح الله لنا تأسيس مركز التعليم العربي الإسلامي في أغيغى ١٩٥٢م، فغير مجرى التعليم إلى الأسلوب الحديث في بلاد يوربا، والداهومي وغانا وساحل العاج، بالاقتباس منه مباشرة أو بواسطة المتخرجين منه.

ومن هذا المركز اقتبس المعهد النيجيري للحاج مرتضى عبد السلام في إبادن سنة ١٩٥٧م.

هذا وقد انتشرت الآن معاهد عربية إسلامية في كل قطر من أقطار غرب أفريقيا، بفضل الذين قصدوا بلاد العرب وأكملوا تعليمهم هناك، وعادوا إلى بلادهم يفيدون أغيارهم في السنغال ومالي وغينيا وغيرها.

ولبعض أفراد العلماء آثار ملموسة في هذا الميدان، أمثال الشيخ محمد ناصر القادري، والحاج محمد سنوسي دنتانا في مدينة كانو، والشيخ أحمد عربي في مدينة جوس، وأمثالهم في الداهومي كالحاج عيسى زوغو، والحاج عبد الله صالح بَرَكُو، والحاج شئت ساكيتي، والحاج محمد بلي في طواغو، والحاج عثمان لادان في كوماسي بغانا.

ثنائية التعليم:

لا شك في أن حالة مسلمي غرب أفريقيا تقتضي تقسيم التعليم لهم إلى نوعين اثنين هما: التعليم المدني، والتعليم الديني. وإن كان العرب لا يحبذون هذه الثنائية بالنسبة لهم، فإنها فيما يتعلق بغرب أفريقيا ضرورية محتمة.

أما التعليم المدني، فيؤخذ من المدارس الانكليزية أو الفرنسية التي تثقف المواطنين وتؤهلهم للوظائف الرسمية، والمناصب المدنية، وهو بمنزلة

الفرض العيني على كل مسلم كإنسان مواطن، وعليه إلى جانب ذلك أن يتعلم مبادىء دينه الضرورية فيكتفي بها في خاصة نفسه.

أما التعليم الديني، فيؤخذ من المدارس العربية، والمعاهد الإسلامية التي تخرج المتخصصين، وتؤهلهم للمناصب الدينية، وهو بمنزلة الفرض الكفائي إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وعلى من قام به أن يتعلم مبادىء علوم دنياه الضرورية، فيكتفي بها.

يجب الاعتقاد بضرورة هذا التقسيم والاهتمام بالتعليم الديني، حتى لا يطغى عليه التعليم المدني، وإلا: فلا يمضي قرن واحد من الزمان حتى ينقرض من يتحمل المسئولية الإسلامية عن بصيرة وجدارة، فيخلو الجو للذين لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، فتكون الطامة الكبرى. مع أنه لم يتأخر المسيحيون عن إمداد الكنائس بالأساقفة الأكفاء ولا عن إمداد النصرانية بالمبشرين الذين يتخصصون للأعمال التبشيرية في معاهد خاصة أنشأوها في افريقيا وآسيا وأوربا وأمريكا. أما المسلمون اليوم فلا يبالون بدينهم بقدر ما يهتمون بدنياهم.

الحكومات الاستعمارية:

كانت الشركات التجارية في شواطىء أفريقيا صاحبة السلطة التنفيذية في عقد معاهدات الحرب والسلم مع ملوكها بالنيابة عن دولة هذه الشركات. ثم انتقلت السلطة إلى مكتب المستعمرات بعد التمكن والاستقرار، وفي سنة ١٩١٤م. تعين فريدريك لوغاد حاكمًا عامًا على هذه البلاد، وأطلق عليها اسم نيجيريا، فتم بذلك جثوم كابوس الانكليز على

البلاد، ووضعوا أيديهم على القضايا الكبرى وتركوا المسائل الصغرى بأيدي الملوك في بلاد يوربا، وأيدي الأمراء في بلاد هوسا تحت مراقبة نواب الحاكم الانكليزي في كل مديرية أو مقاطعة.

لكل ملك أو أمير مجلس الشورى الذي يتكون أعضاؤه من رجال حاشيته لينظر هذا المجلس في الأحوال الشخصية، وبعض المعاملات وخلافات البيوع والعقارات وجمع الضرائب المفروضة على السكان.

وللحاكم الانكليزي العام مجلس إداري يرأسه الحاكم نفسه، ويتكون أعضاؤه من الأوربيين وبعض الافريقيين الذين يختارهم الحاكم حسب رأيه، وينظر هذا المجلس في شئون الصحة والمواصلات والمعارف والجيش والأشغال العامة والقضاء العالي.

وليس لهذا المجلس حق النظر في صرف الأموال ولا في سن القوانين، وإنما يجوز له إبداء الرأي فقط، وللحاكم حق الرفض أو القبول.

وانعقد في أكرا ١٩٢٠م. مؤتمر اشترك فيه النواب من سائر مستعمرات بريطانيا بغرب أفريقيا، وبعثوا وفداً إلى مكتب المستعمرات بلندن يطلبون:

أولاً: تأسيس مجلس تشريعي لكل قطر يكون نصف أعضائه افريقيين.

ثانيًا: إعطاء الأهالي حق تعيين ملوكهم وأمرائهم.

ثالثًا: إلغاء الامتياز الأوربي في الوظائف الرسمية كلها.

رابعًا: اعطاء الأفريقيين حق مراقبة جمع الضرائب وصرفها.

خامسًا: انشاء جامعة في غرب أفريقيا، لتخريج الأفارقة.

وافق مكتب المستعمرات على بعض مطالب مؤتمر اكرا، ونتيجة لذلك أجري انتخاب لأول مجلس تشريعي في غرب أفريقيا ١٩٢٣م. وفي نيجيريا حيث كان يتألف المجلس التشريعي المذكور من ٣٠ عضواً. تختار غرف التجارة، وغرف المناجم، والبنوك، والملاحة خمسة عشر منهم، وينتخب أهل لاغوس العاصمة وملحقاتها ثلاثة منهم، ويعين الحاكم بقية الأعضاء حسب رأيه. وقد أعطي هذا المجلس حق إبداء الرأي في صرف أموال البلاد، وفي المشاريع الحيوية بالاقليم الجنوبي، على أن لا يسري مفعول هذا المجلس على الاقليم الشمالي، ولهذا المجلس لجنة تنفيذية، مؤلفة من الحاكم ونائبه في الشمال والجنوب والسكرتير الإداري ومديري المقاطعات، وعلى هذه الحال نشبت الحرب الثانية ثم ازدادت الأمة الافريقية وعيًا وانتباهًا على أعقاب الحرب العالمية الثانية، فدوت أصوات زعماء غانا ونيجيريا بطلب الاستقلال فتجاوبت لها الأصداء من كل مكان، فأجبروا الإنكليز على إخراج دساتير ١٩٤٦م ينص على إعداد غانا وسيراليون ونيجيريا للحكم الذاتي ١٩٥٦، ثم للاستقلال نهائيًا ١٩٦٠م.

وظهرت أصوات مماثلة لطلب الاستقلال في مستعمرات فرنسا.

ولم تجد فرنسا بدًا من تعديل سياستها التي كانت تعتبر مستعمراتها في غرب أفريقيا جزءاً من فرنسا لا يتجزأ، فأعلنت استقلال السنغال ومالي وساحل العاج والنيجر والداهومي وغيرها. بعد أن عمدت إلى تمكين الأقلية المسيحية من السيطرة على الأكثرية المسلمة، خصوصًا في السنغال التي طبقت فيها سياستها الأولى في لبنان، حيث ينص الدستور على أن يكون رئيس الجمهورية مسيحيًا ورئيس الوزراء مسلمًا.

شاء الله أن يعدل الانكليز عن مثل هذه السياسة الفرنسية في وضع الدستور النيابي لنيجيريا، حتى تمكن المسلمون من الوصول إلى دكة الحكومة الاتحادية، وتمكنت الدول العربية الإسلامية أن تجدد صلاتها بأهالي نيجيريا فور إعلان استقلالها.

ويلات الأحزاب السياسية:

علم الاستعمار ما للأحزاب السياسية من سهام في تشتيت شمل الأسرة الواحدة وما لها من معاول في تمزيق وحدة الأمة، وغرس الضغائن والأحقاد في نفوس أبنائها.

وما تثيره المعركة الانتخابية من التنافس والتعصب وهتك الأعراض والوعود الخلابة وانتشار الرشا لشراء الضمائر والأصوات، لذلك لم يتردد في تقديم الاستقلال إلى طالبيه من الأفارقة على المذهب الديموقراطي الذي به يختار الشعب حاكمه بنفسه، بدلاً من المذهب الارستقراطي السابق للحكم الاستعماري في البلاد، وليس المذهب المختار بأقل وبالاً من المذهب المهجور على ما سيظهر من نتائج، لأن الحكومة تتألف من الوزراء وعليهم رئيس واحد. وكلهم يختارون من النواب الذين ينتخبون من السواد الأعظم، على رصيف الأحزاب السياسية التي تقوم على النزعات القبلية أو القومية، بل على المصالح الشخصية، لا الوطنية، وتضم أصوات الأبواق التي تصيح وتهتف من أجل النفع الخاص.

ألا يكفي ذلك كله لضرب بعض الأفارقة بالبعض، فيقف الاستعمار متفرجًا؟ ثم وجد المستعمرون من المبشرين أبناء البلاد خير خلف لهم فيها، إذا ما انسحبوا من ميدان السياسة فلهم من يخلفهم في مجال التطبيب باسم

الصليب، ومن يخلفهم في مجال التعليم باسم المدنية، ومن يخلفهم في مجال الاستعمار باسم التبشير المسيحي، وتلك مجالات لا حجر فيها ولا حرج، لذلك كله هان على الاستعمار تسليم البلاد، وإيقاع البعض بالبعض، ثم القيام بنصرة أحد الطرفين على الآخر، ولو بالقوة المسلحة.

الأحزاب وتأليف الحكومة:

نص الدستور على تقسيم حكومة نيجيريا إلى إقليمية ومركزية، لكل منها مجلس الوزراء، والأقاليم ثلاثة: الشرقي والشمالي والغربي، ولكل حكومة إقليمية قاعدة ورئاسة، ومرجع الجميع الحكومة المركزية في لاغوس العاصمة.

ومن أجل الوصول إلى كراسي هذه الحكومة تألفت الأحزاب السياسية، وأولها: حزب المؤتمر القومي النيجيري الذي تأسس ١٩٤٥م والذي تحالف مع الديموقراطي، الذي أسسه هابارت مكولي ١٩٣١م ويرأس هذا الحزب ازيكوي من قبائل ايبو أكمل تعليمه في أميركا، ثم عاد إلى نيجيريا ١٩٣٧م وبدأ ينفخ روح القومية في نفوس بني قومه، حتى صار بارزًا في سياسة غرب أفريقيا.

وكان يقوم هذا الحزب أولاً على محاربة الاستعمار في جميع صوره وأشكاله، وعلى تفضيل سياسة أميركا على سائر المستعمرين، وعلى التسامح الديني والتنويه بأمجاد الأسلاف المسلمين في غرب أفريقيا عمومًا وفي نيجيريا خصوصًا، لهذا اندفع وراءه أكثر الشباب المسلم في شمال نيجيريا فضلاً عن أبناء القبائل الأخرى في الشرق والغرب.

واستطاع هذا الحزب أن يصل إلى كرسي الحكم الإقليمي في شرق نيجيريا برئاسة هذا الزعيم القومي (الدكتور انمدي ازيكوي).